ISSN: 2706-9087
ISSUE 8 DESEMBER 2019
مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية
Journal of Humanitarian and Applied Sciences
العدد 8 ديسمبر 2019

العلاقات الاجتماعية بين الفينيقيين والسكان الأصلين في إقليم المدن الثلاث

أ. مُحَمَّد ميلاد أقنيبر

قسم التاريخ –كلية الآداب والعلوم قصر خيار/ جامعة المرقب

المقدمة .

احتضنت ليبيا كما عرفت في تاريخ القديم ، العديد من الحضارات التي أسهمت في تطوير الإنسانية على مر العصور ، كالحضارة الكنعانية والإغريقية ، والرومانية ، خاصة وإن الأرضي الليبية القديمة كانت تتمتع بوجود أكثر من ثقافة ،فإلى جانب الثقافة الليبية المحلية وجدت (الثقافة الفينيقية في الغرب و الثقافة الاغريقية شرق الأرضي الليبية) وقد استمرت هذه الثقافات تتفاعل طيلة عصور طويلة من تاريخ حتي مجئ الرومان الذين حاولوا دمجها وصهرها في بوتفة الثقافة اللاتنية ، إضافة إلى أن الحضارات تتوالى وتتشابه في غاياتها ومقاصدها أحياناً رغم اختلاف الزمان والسكان .وتتناول هذه الورقة البحثية جانباً مهماً من جوانب الحضارة علي مستوى الاندماج والمصاهرة بين العناصر السكانية الوافدة من الفنيقين وبين العناصر السكانية الأصلية ، فكان عنوان هذه الورقة (العلاقات الاجتماعية بين الفينيقيين والسكان الاصلين في إقليم المدن الثلاث)

وما يهمنا في هذه الأورقة البحثية التعرف على جوانب التأثير وتأثر بين العناصر السكانية المحلية والوافدة بالإضافة إلى معرفة الأحداث التي ساعدت بدورها في انصهار الحاضرتين خاصة وإن الحضارة الفينقية كان لها تأثيرها القوي في المنطقة الساحلية من إقليم المدن الثلاث حيث المدن الرئيسية (لبدي الكبري و اويا وصبراته.)

واللإشكالية المطروحة في هذه الورقة تكمن في التعرف على تلك الإفرازات التي خلافتها طبيعة العلاقات ومساهمتها في تكوين ونشوء ثقافة مختلفة تماما إلى جانب الثقافة المحلية

التنظيم الاجتماعي .

تختلف المجتمعات البشرية من حيث الفوارق والاختلافات في الطبقات ومع اختلاف نوعية كل طبقة ومع الاحتكاك الضروري ، بين هذه الطبقات المجتمعة في الاقليم والمدن نشأت علاقات تطابقت في اهدافها أحياناً وتباعدت في اغلب الاحيان .

والمجتمع الفينيقي تكون في الاساس من طبقات اولها طبقة الاشراف وهي راس المجتمع والنبلاء وهم اكبر الاغنياء والكهنة ويراسهم في كل معبد الكاهن الاعلى والقادة العسكريون اما الطبقة العامة فهي تضم الاغنياء من غير النبلاء الميسورون ثم العمال والفلاحين والعبيد (عبد الساتر,1982 , 122,124)وبعد استقرار الفنيقيين في إقليم المدن الثلاث وبحكم الظروف التي ترتب عليها حدث اندماج تاريخي بين كل من الوافدين والسكان الأصليين ,فظهر هناك تنظيم اجتماعي آخر, اذ تكون العنصر الليبو / فنيقي او المجتمع القرطاجي من الطبقة الارستقراطية التي كانت تقوم على نجاح أعمالها وما

ISSN: 2706-9087
ISSUE 8 DESEMBER 2019
مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية
Journal of Humanitarian and Applied Sciences
العدد 8 ديسمبر 2019

تقدمه من مساعدات مالية ,(مازيل , 1998 ,167) وسميت هذه الطبقة أيضا "الادرا" أو " ادرتم" وتعني المقتدرون أو السادة وهذا ما أشارت له النقوش الفنيقية التي كشف عنها في مدينة لبدة الكبرى " وادرنم " تعتبر اعلى طبقة في السلم الاجتماعي الفنيقي ويتمتع أفرادها بالنفود وتقلد الوظائف العليا إلى جانب أنهم من الأثرياء (الميار,2001, 157). وهنالك الطبقة الكادحة المتمثلة في صغار التجار والعمال والحرفيين والصناع (مازيل,105,1998). وعلى هذا الأساس يتضح أن العنصر الليبو/فنيقي لم يختلف في تنظيمه عن المجتمع الأم في فينيقيا ,وهذا يدل على الاندماج الفنيقي مع السكان المحليين في النظام الاجتماعي الذي أفرز العنصر المندمج وهو الليبو/فنيقي .

التنظيم الأسري السكاني

من المعروف أن الأسرة هي أصغر خلية يتكون منها المجتمع (البرغوثي,137,1973),وإن الأسرة نفسها تتكون من العديد من الأفراد يراسهم الأب الذي يتمتع بسلطة مطلقة (حامد,63,2002) فكثيرا ما كان الرجل يكتفي بزوجة واحدة ,وعادة يتم الزواج من الأقارب على عكس الليبيين قبل مجي الفنيقيين الذين عرفوا بتعدد الزوجات (البرغوثي,137,1973) وفيما يخص زواج الرجال الفنيقيين من النساء الليبيات والعكس فانه وبحكم الاندماج بين الشعبين فان الرجال الفينيقيين قاموا بالزواج من النساء الليبيات ,خاصة التجار حيث إنهم كونوا أسراً جديدة في وطنهم الجديد فظهرت عملية المصاهرة بينهم والتي كانت نتائجها تعود بالمنفعة المشتركة على الطرفين (ابورونية,264,1999) لقد ساعد هذا التزاوج في انفتاح الليبيين على العالم الخارجي وكان كذلك قد منح العوائل الليبية حق التمتع بنفس الحقوق من حيث تولي المناصب عند الفنيقيين والاعفاء من الضرائب والخدمة العسكرية (دوكرية,70,1994) وعن مكانة المرأة في المجتمع الليبي الفنيقي فقد تطورت وتمتعت بمكانة مرموقة من الاحترام الكبير والتميز التي وضعتها في كل مكان غير مهمش في الحياة الاجتماعية والعائلية (الميار,134,2001) فكان لها حرية الامتلاك والاستقلالية والمشاركة حتى إنها وصلت الى مناصب سياسية ودينية (خيرالله,147,1992) ومن أبرز النساء القرطاجيات سوفو نيسياي زوجة هزدربعل أحد القادة القرطاجيين وكذلك عليسة ديرون ملكة جيدون وراهبة عشتارت (الميار,135,134,2001) ورغم هذا التميز فإنه وجد هناك النساء الجاريات والعبيد (حملاق,68,1991) هذا وبتزايد الهجرات الفينيقية الوافدة إلى إقليم المدن الثلاث أصبح هناك تزاوج بشكل ملحوظ خاصة بعد القرن الخامس ق.م وهذا التزايد هو دليل على الترابط الأسري وتحسين العلاقة الأسرية فيما بين الفينيقيين و السكان الأصليين .

أما عن السكان فانهم انحدروا من طبقات مثالية فمنهم طبقة الأقوياء أو السادة التي تتكون من السكان الليبيين والفينيقيين وطبقة الأحرار وهم السكان الذين يسكنون المدن الساحلية وطبقة نصف الأحرار وهم السكان المقيمون في نطاق المدينة نظرا لعدم تمتعهم بجميع حقوق المواطنة واخيرا تأتي طبقة العبيد وهم المحرومون من جميع الحقوق (الميار,161,2001) وهؤلاء السكان بمختلف طبقاتهم مارسوا العديد من المهن فانخرطوا بالتجار الفينيقيين واكتسبوا خبرة ومهنة التجارة مما دفعهم لتحسين مستواهم المعيشي ايضا مارس السكان مهنة الزراعة التي كانت في البداية تقوم على أساليب بدائية قبل مجي الفينيقيين وبمجيئهم استفاد منهم السكان الأصليين كثيرا فبدأوا يأخذون ببعض المعارف وإدخال

ISSN: 2706-9087
ISSUE 8 DESEMBER 2019
مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية
Journal of Humanitarian and Applied Sciences
العدد 8 ديسمبر 2019

التحسينات مثل عصر حب الزيتون حيث لازالت آثار معاصره منتشرة في الأقليم خاصة منطقة الجبل الغربي وترهونة ومسلاته (المرجع نفسه,168,2001) إضافة إلى البيئة الجغرافية التي عاش فيها الفينيقيون في بلادهم الأم واستغلوا البيئة الجديدة في إدخال بعض المزروعات مثل الحمضيات وبدلوا السكة الخشبية التي في السابق بسكة حديدية (عيسى,21,2009) ومن خلال اهتمام الفينيقيين بالزراعة الى جانب التجارة فقد اعتنوا ايضا بتربية الاغنام والدواجن والطيور والاستفادة من لحومها وجلودها وهذا ما كان معروفا من قبل السكان المحليين قبل مجي الفينيقيين اليهم (شعيرة,306,1948)

المسكن

إن أكثر المباني السكنية الفنيقية والليبية في ذلك الزمن أصبحت غير معروفة وذلك بسبب إقامة المدن الرومانية الحديثة فوقها وكذلك عدم وجود مصادر أدبية تتحدث بهذا الخصوص (الميار,105,2001) ولكن من المعروف أن السكان الليبيين القدماء قد سكنوا في الكهوف و المغارات الطبيعية (الاثرم,86,1988) الا انه وبمجيئ الفينيقيين بدأ هناك تطور في بناء المساكن عند الليبيين واستمر هذا التطور ايضا عند بناء المدن الطرابلسية الرومانية التي تأثرت بما سبقها من أبنية ليبية فينيقية هذا ما ظهر واضحا في المباني الواقعة قرب مصب لبدة من انحراف بسيط خط اتجاه المباني وشبكة الشوارع الممتدة حول الميدان العام القديم وكذلك الانحراف الحالي الشمالي الشرقي من الميدان العام (الميار,151,2001) وكانت مساكن الفينيقيين في بادئ الامر بسيطة وهي عبارة عن أكواخ مؤقتة تقام في المواسم المناسبة ثم تزال لتقام في موسم آخر (عيسى,16,1977) وشيئا فشيئا بدأ الفنيقيون يطورون من عملية البناء العمراني وهذا ما ظهر واضحا في أبنية مدينة قرطاج التي كانت تحيط منازلها بالحدائق والحقول الزراعية في منطقة حصينة (فنظر,23,22,1963)

الحياة الدينية

كان للدين مكانة عظيمة في نفوس الفينيقيين وكان الليبيون القدماء يؤمنون بوجود قوى عليا فبدأوا يمارسون طقوسهم الدينية المتعلقة بهم التي عبرت عن الروح المحلية للسكان الاصليين النسامونيس الذين مارسوا عادة عبادة الاسلاف و الصلاة على قبور موتاهم (هيردوت,ت الدويب, 2006,ف 118،172 ، 119) واعتمد الدين الفنيقي على مظاهر الطبيعة المحيطين بها وآمنوا بهذه القوة الطبيعية (ابو حامد,134,1968)

وعندما جاء الفنيقيون إلى الأراضي الليبية حملوا معهم آلهتهم ومعتقداتهم الدينية الخاصة بهم (عصفور,144,1987) ومن أهم هذه الآلهة ملك عشتارت والتي كانت تعتبر من أهم الالهة في مدينة صور وعندما امتزجت مع الآلهة المحلية

من إقليم المدن الثلاث بدأ الليبيون يعبدون بدلا من بعل حمون وتانيت التي يرمز لها برموز عديدة هما امتداد لبعب ملك عشتارت في فينيقية (الناضوري,145,1969) واستمرت عبادة الاله الملك عشتارت حتى أواخر القرن الثاني ق م , وبداية القرن الاول ق م , (الفرجاوي,183,1993) حيث كشف عن نقش لهذين الآلهين في مدينة لبدة الكبرى

ISSN: 2706-9087
ISSUE 8 DESEMBER 2019
مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية
Journal of Humanitarian and Applied Sciences
العدد 8 ديسمبر 2019

(الميار,140,2005) ومن الالهة التي كان لها شأن في المجتمع الليبي هو الابن او الرب أشمو رب الثروة والصحة (المرجع السابق,145,1969) وهو إله مدينة صيدا وقد انتقلت عبادته إلى شمال الأراضي الليبية (الشاذلي,298,1999) والرب اشمون كان من ضمن الارباب الفنيقية التي عبدت في إقليم المدن الثلاث حتى إنه ورد بعض الأسماء التي تحمل اسم الرب أشمون مثل عبد أشمون في نقش تم الكشف عنه في إقليم المدن الثلاث (المرجع السابق,153,2005).

ومما سبق ذكره حول الحياة الدينية يتضح أنها قد ادت دورا فاعلا في اتصال العلاقات بين الفينيقيين والسكان الأصليين وان الفينيقيين أنفسهم قد جلبوا معهم عباداتهم التي اثرت وتأثرت بالعبادات المحلية وازداد التواصل الاجتماعي بين أفراد الشعبين حيث استطاع الجانب الديني من الربط الاجتماعي وأثر نوعا ما في حياة أهالي البلاد الأصليين في إقليم المدن الثلاث .

العادات والتقاليد

مر الإنسان البدائي بمراحل عديدة جعلته شيئاً فشيئا يكتسب خبرات وعادات كان لها الفضل في التطور الحضاري وذلك باكتساب بعض المهارات من شعوب مختلفة نتيجة احتكاكه بهم وهذا ما مر به الإنسان الليبي القديم الذي بطبيعة العلاقة بينه وبين الإنسان الفينيقي بدأت لديه عادات وتقاليد مشتركة بينهما

من المعروف أن السكان في اقليم المدن الثلاث تأثروا ببعض العادات والتقاليد من الحضارة الوافدة فمثلا كانت تسمية الطفل باسم الجد ومن التقاليد الأخرى المأكل فكان الفينيقيين قد حرموا على أنفسهم اكل لحم الخنزير وظهر واضحا أن سكان المدن الثلاث أيضا حرموا على أنفسهم اكل هذا اللحم وعدم صلاحيته كأضحية (الميار,137,2001) وكانوا يفضلون في طعامهم الحبوب و الخضروات والفواكه والحليب ومشتقاته وزيت الزيتون اما بالنسبة للحوم فمنهم يتناولون الأسماك المجففة ولحوم الابل والضأن وكانوا لا يتناولون اللحوم إلا في المناسبات المقدسة (الجربي,173,1995)

أما عن الأدوات التي استعملوها في المأكل فكانت الأطباق من الأدوات المهمة التي تتوفر في كل منزل في المدن الثلاث ففي مقبرة وادي كعام تم الكشف عن مجموعة كبيرة من الأطباق المحلية الصنع وأخرى من النوع الكمباني المستورة والتي بلغ عددها سبعون اوقية (مصطفى,38,1995) أيضا إلى جانب الأطباق كان هناك جرار وكؤوس وملاعق وقدور وسكاكين (الدباغ ,183) وكانت صحونهم فخارية ذات الطلاء الأسود اللامع وقد كشف عنها في مقبرة باب بن غشير وتعود للقرن الثالث ق م (ابو حامد,1975, ص46) وفي مقبرة قرجي البونية اكتشفت أيضا أواني مصنوعة من الرصاص وبعض الأدوات المعدنية التي تعود للقرن الأول ق م (باقر,127,1967)

وإلى جانب المأكل وادواته عرفوا أيضا عادات أخرى كالوشم الذي مارسه الليبيون القدماء واعتبروه عادة محلية ولكنه يختلف في أشكاله ورسوماته (الناظوري,228,1969) ووجدت هذه العادات أيضا عند سكان مدينة قرطاجة (الجربي,108,1995) وفي بعض النقوش في المدن الثلاث تطهر التماثيل التي زينت أذرعها بالوشم خاصة تمثال الآلهة تانيت وتسمى بالأم ومن رموزها ثمار الرمان والتين وسنابل القمح وكشف عن هذا التمثال في مدينة لبدة الكبرى ويعود

ISSN: 2706-9087
ISSUE 8 DESEMBER 2019
مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية
Journal of Humanitarian and Applied Sciences
العدد 8 ديسمبر 2019

تاريخه إلى القرن الثاني ق م ومن المظاهر الاجتماعية الفينيقية أيضا الانتحار بالنار والبكاء التقليدي على الأبطال الشجعان (الميار,36,2001)

كما اهتم الفينيقيون بفنون الغناء والموسيقى وتطورها في الطقوس الدينية وكان الفينيقيون يحتفلون ببعض الأشهر الموجودة في تقويمهم حيث كانوا يحتفلون بشهر كرار بالغناء والرقص وشهر تقديس الشمس أو الاحتفال بالخمر (المرجع نفسه,138,2001)

من خلال ما تقدم حول العلاقات الاجتماعية بين السكان الأصليين والفينيقيين يلاحظ تميز هذه العلاقة بالود والتعاون حيث لا يوجد ما يشير الى نزاع او خلاف يعكر صفو هذه العلاقة وما يؤكد ذلك حدوث الاختلاط وحالات الزواج بين العنصرين ولكن هذه العلاقة بدأت بتغير تدريجي إبان السيطرة القرطاجية على المدن الثلاث

أي أن الفينيقيين لم يأتوا إلى المدن الثلاث فاتحين ولم يقيموا فيها كمحتلين مستعمرين لذلك لم يكن هناك لدى الأهالي شعور بالضيق منهم بل كان هناك شعور عند الطرفين بأن كلا منهما كان مستفيدا من وجود الآخر هنا ما طغى على العلاقة وانعكس على أحوال المدن الليبية

قائمة المصادر والمراجع

- **اولا– المصادر** :

1–هيرودوت (Herodoti) ، الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوت السكيتي والكتاب الليبي ,(ت, مُحَمَّد المبروك الدويب) جامعة قاريونس بنغازي ليبيا 2003م

- **ثانيا– المراجع** :

1. احمد الفرجاني, بحوث حول العلاقات بين الشرق الفينيقي وقرطاج والمعهد الوطني للتراث تونس 1993م
2. الشاذلي ابورونية مُحَمَّد طاهر: قرطاج البونية تاريخ وحضارة سلسلة العلوم الانسانية مركز النشر الجامعي تونس 1999م
3. حسن حلاق ، ملامح تاريخ الحضارة الدار الجامعية 1991م
4. رجب عبدالحميد الاثرم :تاريخ برقة السياسي والاقتصادي من القرن السابع ق م وحتى بداية العصر الروماني منشورات ان جامعة قاريونس بنغازي ليبيا 1988 م
5. رشيد الناظوري ،المغرب الكبير جامعة دار النهضة العربية بيروت 1981م
6. شوقي خيرالله ، قرطاجة العروبة الاولى في المغرب مركز الدراسات العلمية سوريا 1992م
7. عبدالحفيظ الميار ، الحضارة الفينيقية في ليبيا منشورات مركز جهاد الليبيين طرابلس ليبيا 2001م
8. ـــــ، دراسة تحليلية للنفائس الفينيقية البونية في اقليم المدن الثلاث جامعة الفاتح طرابلس, ليبيا, 2005م

ISSN: 2706-9087
ISSUE 8 DESEMBER 2019
مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية
Journal of Humanitarian and Applied Sciences
العدد 8 ديسمبر 2019

9. عبداللطيف البرغوثي ،التاريخ الليبي القديم منشورات الجامعة الليبية بنغازي ,ليبيا, 1973
10. فيصل علي الجربي ،الفينيقيين في ليبيا الدار الجماهيرية للنشر والاعلام سرت,ليبيا,1995م
11. لبيب عبد الساتر، مجاز في تاريخ الحضارات ,ط التاسعة, دار المشرق, بيروت, لبنان, 1982م
12. مُحَمَّد ابو المحاسن عصفور ، معالم الحضارات الشرق الادنى دار النهضة العربية بيروت لبنان 1987م
13. مُحَمَّد بيومي مهران ، المغرب القديم دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1990م
14. مُحَمَّد حسن فنطر،قرطاجة لمحة تاريخية عن الحضارة البونيقية منشورات دار الثقافة تونس 1963م
15. مُحَمَّد علي عيسى ،الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم دار الاصالة والمعاصرة بنغازي,ليبيا,2009م
16. ـــــ، مدينة صبراتة منذ الاستيطان الفينيقي حتى الوقت الحاضر الادارة العامة للبحوث الاثرية طرابلس ليبيا 1972م
17. محمود الصديق ابو حامد، مظاهر الحضارة الفينيقية في طرابلس كلية الاداب الجامعة الليبية 1968م

- **ثالثا– المراجع الاجنبية المعربة :**

1. ج كونتو الحضارة الفينيقية (ت مُحَمَّد عبدالهادي شعيرة)مكتبة كتب الشرق الاوسط بيروت 1948م
2. فرانسوا دوكرية قرطاجة الحضارة والتاريخ (ت :يوسف شلب) الشام للدراسات والترجمة والنشر دمشق 1994م
3. فيليب حتى لبنان في التاريخ (ت: انيس فريحة) دار الثقافة للنشر والتوزيع بيروت 1956م

- **رابعا– الدوريات**

1. احمد حامد، مظاهر الحياة العائلية في المجتمع الكنعاني الفينيقي مجلة الدراسات التاريخية العددان 79– 80 تصدر عن لجنة كتابة تاريخ العرب جامعة دمشق سوريا 2002م
2. طه باقر، اخبار اثرية مجلة ليبيا القديمة ج 3–4 مصلحة الاثار باردي روما 1967م
3. محمود ابو حامد، اخبار الحضريات و الاثار مجلة ليبيا القديمة ج 11–12 امانة التعليم مصلحة الاثار باردي روما 1978م